**- المحاضرة رقم (1)**

**الشعر العربي المعاصر: مدخل تاريخي**

تعني المعاصرة أن النص كتب في العصر الذي نعيشه، في زمانه، مع ضرورة كشفه «عن أمرين مترابطين: شيء جديد يقال، وطريقة قول جديدة.»**([[1]](#footnote-1))** ليس في ما أتى قبلهما ما يماثلهما، وهو ما يدفعنا إلى البحث عن روافد العصرية ضمن أصوات ونصوص أحدثت انعطافة تاريخية في مسار الشعرية العربي، نتصورها في الأفق الآتي:

يظهر خليل مطران (1871م- 1949م) رائدا للتجديد في الوطن العربي؛ نظرا لامتلاكه الوعي التجديدي المناسب، أو بعضا من تلك الروح العلمية التي تميز روح العصر المعاصر، آنذاك، والتي أفضت إلى تغيير جذري في الموقف تجاه الكون والحياة، فضلا عن أنه قد حاول التجريب الشعري، وفق إمكانياته الجمالية والفنية المحدودة؛ كالاندماج بالطبيعة، القصص الدرامي، تنويع القوافي باتباع نظام المقطوعات المتراوحة، تنويع البحر في القصيدة الواحدة، والوحدة العضوية**([[2]](#footnote-2))**، مما دفعه إلى الاتجاه بشعره نحو التعبير الحي عن وجدانه وتجاربه الذاتية، وخطراته النفسية، كما قال في قصيدته “الأسد الباكي“: (الطويل)

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أرى روضــةً لـكـنّـهــا روضــةُ الـرَّدى |  | وأُصغي، وما في مسمعي غير وسواس |
| وأنـظـرُ مِــن حــولـي مُـشــاةً ورُكَّـــبــاً |  | عـلى مُـزجَــيـاتٍ مـن دُخــانٍ وأفــراس |
| كـأنّـيَ فـي رؤيــا يــزفُّ الأَســى بـهـــا |  | طــوائــفُ جِــنٍّ فـي مـواكـب أعـــراس |

سعى مطران إلى كتابة شعر على طريقته الخاصة، تستجيب للتجربة الشعورية دون إهمال لروح العصر، أو إشراقة الخطاب الشعري الذي تكتنزه اللغة بمستوياتها المختلفة: الأسلوبية والتصويرية والإيقاعية؛ فبلاغة الشعر عنده يجب أن تخدم حاجة الشاعر وعواطفه الخاصة**([[3]](#footnote-3))**.

بينما عرف شكري بإيمانه الشديد بالتجديد؛ اعتناقه للرومانسية؛ المذهب المتحرر، اللاهث نحو التجديد، وإنشاؤه لجماعة الديوان لنشر تعاليم التجديد**([[4]](#footnote-4))**، وانتهى إلى محاولته في تجربة الشعر المرسل، وقد ظهرت أول قصيدة له في الشعر المرسل في ديوانه الأول سنة (1909م)، بينما اشتمل ديوانه الثاني الصادر عام (1913م) على عدد من قصائد الشعر المرسل متفاوتة الطول، كما نتبينه في قصيدته “كلمات العواطف“ **(الوافر)**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شكوتُ إلى الزّمانِ بني إخائي |  | فجاءَ بكَ الزّمانُ كما أريدُ |
| أراني قدْ ظَفرتُ بذي وفاءٍ |  | لهُ خُلُقٌ يضيقُ عنِ الرّياءِ |
| أراني إذا رأيتُكَ مُستفزَّا |  | كأنّي قَدْ جَرَعْتُ منَ العقارِ |
| يؤمُّ بي إلى العلاءِ أخو وجيفٍ |  | وتنبتُ فيَّ أجنحةُ النّسورِ |
| تقبّلْ طرفةً لكَ منْ خليلٍ |  | وقدْ يُهدى الصّديقُ إلى الصّديقِ**([[5]](#footnote-5))** |

عُنِيَ شكري في قصائده المرسلة بالمزاوجة بين التأملات الفكرية النفسية، والتأثرات الوجدانية، والانطباعات الصوفية والعاطفية والطبيعية**([[6]](#footnote-6))**، إلا أنه ظل في جميعها محتفظا بنظام الشطرين، كما لم يلجأ إلى أي وسيلة جديدة يعوض بها من خسارة الموسيقى المعهودة في نهاية البيت الشعري.

على أن شكريا لم يكن أول من حاول الشعر المرسل في العربية، ففي عام (1869م) قام السوري رزق الله حسون بترجمة سفر أيوب بالشعر المرسل، وفي عام (1905م) حاول الزهاوي في العراق، ومحمد فريد أبو حديد نظم قصيدة من هذا النوع، كما حاول أحمد زكي أبو شادي تجربة شكل شعري جديد في ما دعاه بـ «مجمع البحور» أو «النظم الحر»؛ وهو نوع من النظم يجمع بين عدد من الأوزان في القصيدة الواحدة، مثلما نتبينه في قصيدته “ترنيمة آتون“:

|  |  |
| --- | --- |
| تبلّج الفجر حال بأفق هذي السماء | (المجتث) |
| يا آتون الحي يا مستمدًا للحياة | (مجزوء الرمل) |
| عندما تعتلي أفق الشرق للسما | (مجزوء الخفيف) |
| كلّ أرض ملكتها من جمال ملكته | (مجزوء الخفيف) |
| فأنت حال عظيم يزهو على الأرض بعدا**([[7]](#footnote-7))** | (المجتث) |

كما اتجه البعض بسبب مزجهم بين الغرب والشرق، إلى إحياء نظام قديم؛ وهو الموشح، والتصرف فيه بحسب دوافعه النفسية، ورؤيته الفنية، مما أدى إلى نظم قصائد ذات مقاطع متشابهة، بعضها ذو لازمة وبعضها خلو منها، لكنها حديثة الروح واللغة والصورة**([[8]](#footnote-8))**، من ذلك تجربة نسيب عريضة، التي طالما حسبت خطأ على أنها مثال عن الشعر الحر:

|  |  |
| --- | --- |
| كفنوه وادفنوه واسكنوه | (3) |
| هوة اللحد العميق | (2) |
| واذهبوا لا تندبوه | (2) |
| فهو شعب لا يفيق**([[9]](#footnote-9))** | (3) |

تتميز هذه التجربة البسيطة، في وزن الرمل، بما في شعر الحر من سيولة ولهجة جادة، لكنه يختلف أساسا عن الشعر الحر، باعتبار قربه الشديد من الموشح، وهو ما سنتبينه في نقط جوهرية، لعل أهمها:

**1-** يشذ عدد كبير من الموشحات عن الأوزان العربية المعروفة، بينما لا يفعل الشعر الحر ذلك.

**2-** يعتمد النوع القديم من الموشح على الموسيقى مباشرة بينما ينفصل الشعر الحر عن الغناء تماما.

**3-** يخضع الموشح لعدد كبير من الشروط بينما يتمتع الشعر الحر بحرية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الشعر العربي.

**4-** عني الموشح بموضوعات أكثر ملائمة لروح المرح والتسلية؛ إذ يشيع العبث في كثير من الموشحات بسبب اعتماده على نمط معين وعلى الموسيقى، لكن الشعر الحر يمثل حركة تهدف إلى جدية أكبر في الموضوع، ويتصل منذ بداياته بالتجربة الحديثة عند الفرد العربي والأمة، في أكثر نواحيها حرجا ومأساوية**([[10]](#footnote-10))**.

كما عد أمين الريحاني (1876م- 1940م) أول من كتب الشعر نثرا في العربية، لأجل ذلك أطلق عليه لقب «أبي الشعر المنثور» في العربية**([[11]](#footnote-11))**، من ذلك المقطع الشعري: “معبدي في الوادي“:

إيهِ أمُّ الطبيعة بل أمي، جئت أجدّد معك آمال الحياة وسرورها

جئت أجدد عهدي وإيماني مع كلاء الحقول وزهورها

جئت أردد تحت هذه الأفنان الخضراء، ابتهال أبنائك الأتقياء

وقفت على ضريح الشتاء ليلاً، فشاهدتُ هناك مشهدًا جليلاً

شاهدت ربّة الربيع تقبّل جبين أبيها، فينوّر الأقحوان تحت شفتيها**([[12]](#footnote-12))**.

وهي محاولة على غرار الريحانيات، تقوم على وحدة الموضوع، وتقسيم القطعة إلى مقاطع تقصر أو تطول، واستخدام الجمل القصيرة، والعبارات المكررة، وصيغة النداء المتكررة، والصور والاستعارات المستقاة من الطبيعة، ومحاولة شحن القطعة الأدبية بالعاطفة، ستجد صداها في أوقات لاحقة خاصة لدى شعراء قصيدة النثر.

فيما عد جبران (1883م- 1931م) مجددا كبيرا في إبداعه لأسلوب جديد في النثر، انطوى على اندفاع شعري متميز، جعله شاعرا في نثره، من ذلك نصه “لكم فكرتكم ولي فكرتي“ الذي يقول فيه:

«لكم فكرتكم ولي فكرتي.

لكم فكرتكم شجرة صلبة تتمسك عروقها بتربة التقاليد، وتنمو فروعها

بقوة الاستمرار، ولي فكرتي سحابة تتهادى في الفضاء ثم تهبط قطرا ثم

تسير جدولا إلى البحر ثم تتصاعد ضبابا نحو الأعالي.»**([[13]](#footnote-13))**

فضلا عن كونه شاعرا لم يكتف بتجديد الشكل أو المضمون أو الموقف بل عبرهم جميعا، سعيا وراء تحقيق النموذج الشعري الذي تتشكل عبره إرادة قول الجديد بكيفية جديدة، تحدد في نمط عرف بالأسلوب الجبراني الذي يتمظهر مجتمعا في: الإيقاع واللغة والصورة، كما نلمسه في مطولته “المواكب“، وهذا مقطع منها: (مجزوء الرمل)

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أعطني الـنايَ وغـنِّ |  | فالغنا يرعى العقولْ |
| وأنـيـنُ الـنـاي أبـقى |  | مـن مـجـيـدٍ وذلـيـلْ |
| \*\*\* |  | \*\*\* |
| أعطني الـناي وغـنِّ |  | فالغنا خيـرُ الصلاة |
| وأنيـنُ الـنــاي يـبقى |  | بعـد أن تفنى الحياةْ |

أسهم جبران إسهاما نادرا في تطور الشعر العربي، لما اشتمل عليه من خصائص منها: التوق المتألق إلى الطبيعة، وقوة التأمل، والشوق إلى الحرية، والانسراح العاطفي في آفاق الخيال، والخطاب المنبعث من القلب، ورفض التقاليد والقيود الاجتماعية والأدبية، والتمرد على الأشكال القائمة في الأدب، والنزعة الغنائية، والبحث عن أسرار الطبيعة، وتقديس الحب، تجتمع كلها لتضفي رهافة وقيمة على مغامرته الرومانسية، التي فاقت رومانسية غيره من الأدباء المعاصرين كالريحاني ومطران اللذين افتقرا على عكسه إلى موهبته الرومانسية الصافية.

سوف يفضي هذا الحراك الشعري، إلى ميلاد وعي جديد، بشر بتجارب شعرية ثرية، متنوعة، وخلاقة، انفتحتت على حقبة شعرية جديدة، اتسعت لأعراف جمالية مخالفة للسائد المعروف؛ وهي الشعر المعاصر، يمكن حصر مقولاته أو ملامحه الفنية في التصور الآتي:

1. للشعر المعاصر جمالياته الخاصة المتأثرة بذوق العصر ونبضه.
2. يرتبط الشاعر المعاصر بقضايا عصره من خلال المعايشة والتفاعل لا الفرجة والوصف.
3. يحاول الشعر المعاصر استيعاب الثقافة الإنسانية والتفاعل معها.
4. لا يعتمد الشاعر المعاصر على تجربته الذاتية وحسب، بل يحاول الاستفادة من تجارب الإنسان المعاصر والأجيال السابقة.
5. يحاول الشاعر المعاصر استيعاب التاريخ برؤية معاصرة تستفيد من أدوات العصر في التحليل والتقييم، مع الاستفادة من مجمل الخبرات الماضية في تشكيل تلك الرؤية.
6. أعطى الشعر المعاصر للمبدع مساحة واسعة من التعامل مع المضمون في إطار الشكل، وفتح له آفاقا واسعة في تحقيق الذات من خلال الشكل الذي يختاره.
7. يعبر الشعر المعاصر عن روح عصرنا الحضارية وتفاعلاته الاجتماعية والسياسية**([[14]](#footnote-14))**.
8. يُعلي الشعر المعاصر من شأن الصورة الفنية.
9. لا ينفصل الشعر المعاصر عن التراث، ويكثر من توظيفه والاستفادة الفنية منه.

10- استفاد الشعر العربي المعاصر من الأجناس الأدبية الأخرى كثيرا في تكوينه الداخلي.

1. )- أدونيس، ***مقدمة للشعر العربي***، دار العودة، بيروت- لبنان، ط3، 1979م، ص100. [↑](#footnote-ref-1)
2. )- مصطفى هدارة، ***دراسات في الأدب العربي الحديث***، دار العلوم العربية، بيروت- لبنان، ط1، 1410هـ -1990م، ص26- 27. [↑](#footnote-ref-2)
3. )-يُنظر، ***الشعراء الرومانسيون***، لـ: ر. أوستيل، ترجمة: محمد العبد اللطيف، ضمن كتب: ***تاريخ كيمبردج للأدب العربي: الأدب العربي الحديث، الفصل الثالث***، تأليف جماعي، ترجمة جماعية، النادي الأدبي الثقافي، جدة- المملكة العربية السعودية، عدد 121، ط**1**، 1423هـ- 2002م، ص137. [↑](#footnote-ref-3)
4. )-أحمد زكي أبو شادي، ***قضايا الشعر المعاصر***، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر، ط1، 2014م، ص64. [↑](#footnote-ref-4)
5. )-عبد الرحمن شكري، ***ديوان عبد الرحمن شكري***، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر، ط1، 2014م، ص65. [↑](#footnote-ref-5)
6. )-زكي أبو شادي، ***قضايا الشعر المعاصر***، ص64. [↑](#footnote-ref-6)
7. )-زكي أبو شادي، ***ديوان الشفق الباكي***، المطبعة السلفية، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1926م، ص963- 964. [↑](#footnote-ref-7)
8. )-أنيس المقدسي، ***الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دراسات تحليلية للعوامل الفعالة في النهضة العربية الحديثة ولظواهرها الأدبية***، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط2، 1960م، ص412- 419. [↑](#footnote-ref-8)
9. )-إبراهيمأنيس، ***موسيقى الشعر***، مكتبة الإنجلو مصرية- مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة- مصر، ط2، 1952م، ص289- 290. [↑](#footnote-ref-9)
10. )-سلمى خضراء الجيوسي، ***الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث***، ص574- 575. [↑](#footnote-ref-10)
11. )- أنيس المقدسي، ***الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث***، ص420. [↑](#footnote-ref-11)
12. )-أمين الريحاني، ***الريحانيات***، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر، (د.ط)، 2014م، ص293. [↑](#footnote-ref-12)
13. )- محمد عبد المنعم خفاجي، ***قصة الأدب المهجري***، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ط2، 1973م، ص165. [↑](#footnote-ref-13)
14. )-عزّ الدين إسماعيل، ***الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية***، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، ط3، (د.ت)، ص13-16. [↑](#footnote-ref-14)